عظة للخوري جوزف سّلوم

في القدّاس الإلهيّ من أجل الراقدين على رجاء القيامة

الذكرى العاشرة لانطلاقة جماعة "أذكرني في ملكوتك"

في رعيّة مار فوقا – غادير

٢٠١٦/٦/٢

يقول ميخائيل نعيمة: "هذا الجيل عقله في بطنه، وقلبه في جيبه" أي أنّه لا يفكّر إلاّ في الطّعام وفي المال فقط. غير أنّ قيمة الانسان ليست في ما يملك من مال ومقتنيات، ومع ذلك فبعض الصداقات في يومنا هذا، أصبحت ترتكز على المال. نعاني في عالمنا اليوم، من إقطاعيّة المال الّتي نراها في أماكن عديدة وبخاصّة في الانتخابات. إنّ تلك الاقطاعيّة هي إقطاعيّة حديثة وعبوديّة حديثة.

أنا أشبّه هذا العالم بالإنسان الآلي، الّذي لا يملك لا قلبًا ولا رحمةً، لأنّه لا يحبّ، لأنّه يفضّل أن يعيش وحيدًا، وأن يرسم حدودًا تفصله عن أخيه الانسان. إنّ الانسان أصبح بلا رَحِم إذ لا يستطيع الانجاب بمعنى أن تكون علاقاته مثمرة، إذ إنّه وضع حدودًا لأخيه الانسان.

إنّ يسوع أعطى تشبيهًا لهذا العالم قائلاً: "بماذا أشبّه أبناء هذا الجيل؟ هم مِثلُ أولادٍ جالسين في الساحات يتصايحون: زمّرنا لكم فما رقصتم، وندبنا لكم فما بكيتم."(متى ١١/ ١٦- ١٧). إنّ الخطورة تكمن في ضياع معنى الأمور الّتي يعيشها الإنسان، أي عندما يعيش حياته وهو فاقدٌ لمعناها، يعدّ أيّامه ويعيش لأنّه ما زال في الحياة. أليس هذا استباقًا للموت؟ أليست هذه، حالة موت؟ إنّ عالم اليوم هو في حالة موت: يتحرّك وينام، يأكل ويشرب، يعيش في حالةٍ من الرتابة إذ قد أصبحت كلّ الأمور فارغة من معناها. إنّ الحياة بلا معنى، وبلا لون، يصعب أن تُعاش.

وفي هذا العيد، عيد قلب يسوع، نطلب من الرّبّ قائلين: "اجعل قلبنا مثل قلبك". والسؤال الّذي يُطرح هو: كيف هو قلب الله؟ وبالتّالي، كيف يجب أن يكون قلبنا؟ علينا أن نمتلك قلبًا شبيهًا بقلب يسوع، فنكون مسيحيّين حقيقيّين. وهناك عدّة أنواع من الطرق ليكون قلبي شبيهًا بقلب يسوع.

إنّ القلب الشبيه بقلب يسوع، هو القلب الّذي يحفظ كلمة الله، كما كانت مريم أمّه تفعل، فهي "كانت تحفظ كلّ تلك الأمور وتتأمّلها في قلبها". إذًا النّوع الأوّل من القلوب، هو القلب المتأمِّل، الّذي يحفظ كلمة الله، أي القلب الّذي يعرف كلمة الله، ويتأمّل بها ويصلّيها، يعيشها ويطبّقها في حياته، ويُخبر عنها الآخرين. هذا هو قلب مريم، هذا هو قلب الرّب! وعلى قلوبنا أن تكون مثل قلب مريم ويسوع، قلوبًا تحفظ كلمة الله وتعمل بها، لكن المشكلة تكمن في قلوبنا الّتي أُصيبت بمرض "الألزهيمر"، أي صارت تنسى كثيرًا وصارت غير قادرة على الحفظ.

أمّا النّوع الثاني من القلوب فهو القلب المُحبّ والرحوم، الّذي ينحني على أوجاع الآخرين إذ إنّ دموع الآخرين تؤثر فيه، فيتفاعل مع أوجاع النّاس، كما فعلت الأم تريزا دو كالكوتا. فعندما رأت تلك القدّيسة أوجاع النّاس، تركت كلّ شيء، وحاولت جاهدةً التخفيف من آلامهم، وقد بذلت كلّ جهدٍ ممكن لتُنقذ حياتهم، واستّمرت حتى النّهاية في هذا العمل من دون تعبٍ. هذا هو القلب الّذي يجب أن نتحلّى به كمسيحيّين، قلب محبّ رحوم، يذهب للنّهاية مع الإنسان المتألم، من دون أن يستسلم.

وهناك نوعٌ آخر من القلوب: وهو القلب الذّكي اليَقِظ، أي الّذي يستمع للآخرين ولحاجاتهم، يتفهمّهم ويحترم مشاعرهم.
وهناك أيضًا القلب النقيّ، الّذي علينا التّحلي به: "طوبى لأنقياء القلوب"، يقول الكتاب المقدّس. إنّ مَن يملك قلبًا نقيًا، يَرَ الله ويشاهد السّماء. هذا القلب هو كقلب الأطفال أي أنّه يستطيع أن يغفر للآخرين هفواتهم. نحن لا نستطيع أن نغفر بسهولة، إذ إنّنا نُجرَحُ من الآخر بسهولة. وكم من أشخاص يجرحوننا بمواقفهم، بأعمالهم أو بكلامهم، يوميًّا! وكم أنّنا نَجرَح قلوب آخرين يوميًّا! لذا نحن بحاجة إلى التّحلي بهذا القلب الّذي يغفر للآخرين. في المسيحيّة، لا نستطيع أن نُجزِّئ قلوبنا، إذ إنّ يسوع يطلب منّا أن نحبّه من كلّ قلوبنا، ومن كلّ ذواتنا، فالرّب لا يقبل بالأمور الوسطيّة. فعلى قلبنا أن يكون بكليّته للرّب، ولمحبّة أخينا الانسان.

فلنتأمّل في هذه الأمور، في هذا العيد، لنتمكّن من أن نزرع قلوبًا جديدةً، في عالم اليوم. كما يقول الكتاب المقدّس في العهد القديم: "أتيت لكي أنزع القلب الحجر، وأضع مكانه قلبًا ليّنًا يُحبّ"، على قلبنا أن يكون قلبًا حاضرًا للآخرين فيشعر بأوجاعهم.

وأحبّ أن أضيف، على هذا العيد، ذكرى أخرى وهي ذكرى السنوات العشر لجماعة "أُذكرني في ملكوتك" في هذه الرّعيّة، من هنا كانت الانطلاقة لهذه الجماعة، هنا كانت بدايات المسيرة الّتي أشعّت وانطلقت في لبنان وخارجه، وقد أصبحت اليوم، في ما يزيد عن ستّين رعيّة في العالم.

لذلك مع هذه الذكرى، ومع مسيرة كلّ الجماعة، نضع تاريخ اليوم، تاريخ عيد التأسيس أمام الله، في هذا العيد، فننظر إلى الماضي ونشكر الله عليه بامتنان وفرحٍ، كما وأنّنا نستشرف هذا المستقبل ونضعه بين يديّ الرّبّ. ونطلب من أمّنا مريم أن تسهر على هذا العمل والرسالة، ونعيش هذه اللّحظة، مع بعضنا البعض بشراكةٍ، ونفرح فيها أوّلاً عبر استذكار موتانا وأحبائنا الّذين غابوا لكي يكونوا في قلب الرّبّ، مع الله. لذلك نذكر اليوم، كلّ موتانا وأحباءنا الّذين أصبحوا في العالم الآخر، كما ونذكر، كلّ واحدٍ منّا لأنّه "لا أحد يعلم متى تأتي السّاعة"، لكي نكون مستعدّين لهذه اللّحظة الّتي نقبل فيها دعوة الله في نهاية حياتنا، لنكون مع الأبرار والصدّيقين. آمين.

ملاحظة: كتبت العظة من قِبلنا بتصرّف.